دفتر قرارات لا دفتر أمنيات



مدارج



كانت ورقة الرياضيات أقرب إلى حافة المكتب من دفتر يوسف، ومع ذلك ظل ينظر إلى الدفتر. في السابعة عشرة، اعتاد أن يكتب موعد المراجعة القادمة قبل أن يرتب أوراق المراجعة السابقة. هذا العصر كتب تحت الموعد: «سأتعثر مرة أخرى». ضغط على آخر كلمة حتى ترك القلم أثرا في الصفحة التالية، ثم أغلق الغطاء قليلا، كأن الجملة أنهت ما يمكن فعله. كانت الورقة المعادة من المدرسة ظاهرة بجانب يده، تحمل علامات التصحيح وإجابات كتب بعضها على عجل، لكنه لم يعد إليها منذ وضع حقيبته.

فتح الدفتر ثانية. أراد أن يكتب سبب حكمه، فبدأ بالعلامة التي حصل عليها في التمرين السابق. هذه علامة يعرفها؛ يمكنه أن يريها على الورقة. أما النتيجة التي كتبها تحت الموعد القادم، فلم يكن لديه ما يريه منها. رفع رأسه إلى التاريخ المعلق فوق المكتب، ثم أعاد عينيه إلى السطر. بقي الموعد قريبا كما كان، ولم يتبدل شعوره لمجرد أنه توقف عن الكتابة. لكنه لاحظ أنه وضع أمرا حدث وأمرا يخشاه في جملة واحدة، ثم عامل الاثنين كأنهما يحملان الدليل نفسه.



مد يده إلى ورقة التمرين وسحبها من تحت كتاب آخر. عند طرفها سؤال ترك له مساحة واسعة خالية، وفوقه مسألة ظهرت بجانب إحدى خطواتها إشارة تصحيح صغيرة. لم يكن يتذكر أين توقف في الأولى، ولا أي خطوة أخطأ فيها في الثانية. هم بكتابة قائمة طويلة بكل ما يحتاج إلى مراجعته، ثم وضع القلم أفقيا فوق الدفتر. ستكون تلك قائمة أخرى قبل أن يفهم الورقة الموجودة أمامه. قلبها إلى وجهها الأول، وقربها من الضوء، وقرر أن يقرأ ما أجابه وما تركه قبل أن يضيف حكما جديدا عن التمرين القادم.

بدأ يوسف من السؤال الذي كتب تحته إجابة، لا من العلامة أعلى الورقة. تتبع سطوره بإصبع واحد، فوجد أن إشارة التصحيح جاءت بعد خطوة كان يظنها صحيحة. قرأ نص السؤال مرة أخرى، ثم نظر إلى الحل دون أن يصلحه بعد. كتب في دفتره وصفا محدودا: «في هذه المسألة خطوة لم أفهم خطأها». كانت الجملة أضيق من حكمه السابق على التمرين القادم، لكنها تشير إلى موضع يستطيع العودة إليه. وضع بجانبها رقم السؤال، وترك فراغا ليسجل ما سيعرفه حين يفحص تلك الخطوة.

عندما وصل إلى السؤال المتروك، بحث عن محاولة ناقصة في المساحة البيضاء. لم يجد محاولة أصلا. تذكر أنه انتقل عنه يوم التمرين إلى سؤال آخر، على أن يرجع إليه، ثم انتهى الوقت. لم يعد ذلك السؤال دليلا على أنه جرب حله وعجز؛ كان دليلا على أنه لم يكتب له حلا في الورقة. كتب هذه العبارة، ثم توقف قبل أن يضيف سببا من عنده. ربما يحتاج إلى تدريب على توزيع الوقت، وربما كانت هناك صعوبة أخرى. سيحتاج إلى تجربة أو سؤال أوضح قبل اختيار أحد التفسيرين.



رجع إلى العبارة التي كتبها تحت الموعد القادم، ووضع حولها دائرة خفيفة. لم يمحها، ولم يستبدلها بوعد أنه سينجح حتما. كتبها ثانية على جانب الصفحة تحت كلمة «توقع»، وأبقى ملاحظتيه عن السؤالين في الوسط. صار أمامه الآن فرق يراه بين وصف ما حدث وتفسيره، وإن ظل يشعر بثقل المراجعة. اختار أن يبدأ بفهم الخطوة المعلمة في المسألة الأولى، وكتب سؤالا محددا عنها بدل قائمة تشمل الدروس كلها. ثم أخرج دفتر الأمثلة من الحقيبة، وراح يبحث عن المثال الذي يشبهها، دون أن يعرف بعد كم سيستغرق فهمه.

وجد يوسف المثال الذي كان يبحث عنه في منتصف دفتر الأمثلة. تشابه ترتيب المطلوب فيه مع المسألة المعلمة في ورقته، لكن الأعداد لم تكن نفسها. وضع الورقتين متجاورتين، ومرر عينيه على نصي السؤالين قبل النظر إلى خطوات الحل. لم يكن يريد أن ينقل الجواب ثم يجد نفسه عاجزا عن مسألة تتغير أعدادها. وضع طرف ورقة صغيرة تحت السطر الذي سيبدأ منه، وأبقى بقية المثال ظاهرة؛ سيحتاج إلى فهم الطريق، لا إلى اختبار ذاكرته في رقم محفوظ.

ترك دفتر الأمثلة مفتوحا، ونظر إلى ما بقي من أعمال ذلك اليوم. كانت كتابة عبارة «أراجع الرياضيات» أسهل من معرفة متى سيفعل ذلك وماذا سيختار منها. فتح صفحة المواعيد، وحدد عشرين دقيقة بعد عودته من المدرسة في الغد لمحاولة هذا النوع من المسائل. لم يحجز بقية العصر، ولم يكتب أنه سينهي الدرس كله. جمع ورقة فارغة وقلما وورقة التمرين بجانب الدفتر، ثم أبعد كتابا لا يحتاج إليه عن وسط المكتب. صارت للمهمة أشياء معدة ووقت محدود، بدل أن تبقى اسما كبيرا يلاحقه كلما فتح الحقيبة.



كتب يوسف المهمة التي اختارها: أن يحاول مسألة مشابهة، ثم يقارن خطواته بالمثال ويحدد أين يتوقف. أضاف موعدا آخر في اليوم الذي يلي المحاولة لينظر فيما أنجزه ويعدل ما يحتاج إلى تعديل. كاد أن يكتب بجانب المهمة علامة يرجو الحصول عليها، لكنه ترك مكانها فراغا؛ يستطيع أن يحاول ويقارن، أما تلك العلامة فلم تأت بعد. لم يصبح السؤال سهلا لمجرد أن الخطة صارت واضحة. عاد إلى الدفتر المفتوح، وحرك الورقة الصغيرة إلى بداية المثال، وبدأ يقرأ الخطوة الأولى ليعرف ما الذي سيحتاج إلى تجربته غدا.

في العصر التالي، أعاد يوسف الورقة الفارغة إلى وسط المكتب وجعل دفتر الأمثلة إلى جانبها. بدأ المحاولة في الوقت الذي كتبه، وغطى الحل النموذجي بورقة صغيرة كيلا ينقل سطرا دون أن ينتبه. سار في الخطوات الأولى، ثم وصل إلى قوس تسبقه إشارة سالبة. كتب ما بعده سريعا، وتوقف عندما رأى أن عبارته لا تشبه ما يتوقعه من ترتيب المسألة. لم يعد هذه المرة إلى العلامة القديمة أعلى ورقة المدرسة؛ كان أمامه موضع جديد يستطيع أن يتتبعه سطرا سطرا.

كشف من المثال ما يقابل تلك الخطوة، ووجد أن الإشارة السالبة أثرت في حدي القوس، بينما غير هو أحدهما وترك الآخر كما كان. وضع خطا قصيرا تحت الموضع، ثم أعاد كتابة التحويل في مساحة مستقلة. بدا الخطأ صغيرا حين رآه معزولا، لكنه لم يكن يعرف بعد إن كان سينتبه إليه عندما يعود إلى المسألة كاملة. حاول خطوة مشابهة بأعداد مختلفة، ثم قارن ما كتبه بالمثال. احتاج إلى النظر مرة ثانية قبل أن يطمئن إلى الإشارة، فترك بجانب السطر علامة تذكره بموضع التردد.



عندما انتهت الدقائق العشرون، لم تكن ورقته جوابا كاملا جاهزا. احتاج إلى خمس دقائق أخرى ليجمع أوراقه ويكتب السؤال الذي يريد حمله إلى المدرسة: كيف يفحص الإشارة عند فك هذا القوس دون أن يعتمد على شكل المثال المحفوظ؟ سجل الوقت الذي استغرقه كما هو، وأبقى المحاولة الأولى بجوار التصحيح. لم يكتب أنه أتقن الدرس، ولم يعد الورقة البيضاء دليلا على فشل قادم. صار يعرف خطوة توقف عندها، وخطوة جربها بعدها، وسؤالا لم يحسمه. وضع الورقة في الدفتر عند الموعد الذي حدده للمراجعة، وترك فحص الخطة لذلك الموعد.

فتح يوسف الدفتر في موعد المراجعة في اليوم التالي، وأخرج الورقتين قبل أن يضيف سطرا جديدا إلى خطته. كان قد كتب عشرين دقيقة للمحاولة، وسجل بعدها خمسا وعشرين دقيقة استغرقتها المحاولة وترتيب السؤال. نظر إلى العددين ثم إلى العمل الذي بقي بينهما. لو اكتفى بقوله إنه راجع الرياضيات، لما ظهر هذا الفرق. ولم تكن الزيادة في الوقت دليلا وحدها على أن الخطة نافعة أو غير نافعة؛ احتاج إلى أن يرى ما الذي فعله في ذلك الوقت وما الذي ظل ينتظره.

قرأ المهمة التي اختارها: محاولة مسألة مشابهة، ومقارنة الخطوات، وتحديد موضع التوقف. كانت الأوراق تدل على أنه بدأ وفحص خطأ في الإشارة، لكنها لا تدل على أنه يستطيع حل كل مسألة من الدرس. كتب أمام ما أنجزه وصفا قصيرا، وأبقى سؤاله عن فحص الإشارة دون علامة إتمام. ثم لاحظ أن الاستعداد وجمع الأوراق أخذا من وقت المحاولة. في المرة القادمة سيعد المواد قبل البداية، ويجعل المهمة محاولة التحويل الذي توقف عنده بدل المسألة كلها، مع بقاء وقت التوقف معلوما.



لم يملأ يوسف بقية الأسبوع بمواعيد متتابعة تعوض ما فاته دفعة واحدة. وضع للمحاولة الجديدة مكانا واحدا، وترك إلى جانبها خانة لما قد يحتاج إلى تغييره عند المراجعة. استغرق في النظر إلى الصفحة القديمة لحظة؛ كانت جملة الفشل ما تزال موجودة في الهامش. لم يحتج إلى محوها كي يسجل بجانبها ما حدث فعلا، ولا إلى الادعاء أن كل شيء تحسن. نقل سؤاله المحدد إلى بطاقة داخل الدفتر ليسهل أن يجده في المدرسة، ثم جمع ورقتي المحاولة والتصحيح معا. سيبقى الفرق بين ما خطط له وما فعله ظاهرا حين يعود إليهما.

في وقت المحاولة الجديدة، وضع يوسف المواد على المكتب قبل البداية كما قرر. اختار تحويلا يشبه الذي أربكه، وأبقى الحل النموذجي مغطى إلى أن كتب سطره. توقف عند الإشارة السالبة، وفحص حدي القوس قبل أن يكمل. عندما كشف المثال، وجد أن هذه الخطوة وافقته. لم يجعل ذلك جوابا عن الدرس كله؛ ففي السطر التالي بقي أمر يريد أن يسأل عنه. أضاف ملاحظته إلى البطاقة، وميز بين الخطوة التي استطاع فحصها والسؤال الذي ما زال مفتوحا، ثم انتهى عند الوقت الذي عينه لهذه المحاولة المحدودة.

كان الدفتر أقل امتلاء مما تخيله أول مرة، لكنه صار أسهل في الرجوع إليه. وجد فيه الورقة التي بدأ منها، والمحاولة التي صحح فيها الإشارة، وموعدا عدله، وسؤالا يستطيع أن يحمله إلى المدرسة. وضع البطاقة حيث سيجدها حين يفتح الحقيبة في اليوم التالي، وأغلق الدفتر دون أن يكتب علامة الامتحان القادمة. ظل يتمنى نتيجة طيبة، وظل بعض التردد معه. لكنه لم يحتج هذا المساء إلى أن يحسم المستقبل حتى يعرف ما سيأخذه معه وما الذي يريد التحقق منه عند عودته إلى الدرس.

تخيل ورقة تدريب ترك فيها سؤال بلا إجابة، دون درجات حقيقية أو معلومات شخصية. اكتب الواقعة، ثم تفسيرا محتملا وتوقعا، وميز بين المعلوم وما يحتاج إلى تحقق. اختر سؤالا للفحص وخطوة صغيرة وموعد مراجعة، دون وعد بنتيجة.

أما يوسف، فقد أبقى بطاقته داخل الدفتر، وحمل حقيبته استعدادا ليوم دراسي آخر لم يعرف نتيجته بعد.